**استكمال الحديث عن الفراء**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**Ahmedmsamir54@gmail.com**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى استكمال الحديث عن الفراء**

**الكلمات المفتاحية – الفراء، النحاه، الكريم**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة استكمال الحديث عن الفراء**

* **.عنوان المقال**

**يعد الفراء من أكثر النحاة شغفًا بلغة القرآن الكريم، وقراءاته، ومن أوسعهم علمًا بفنونه، تظاهره في ذلك علوم العصر، وعقل خصب، وذاكرة قوية، فقد صرح الفراء غير مرة أنه يؤثر لغة القرآن الكريم على الشعر.**

**ومن أقواله الدالة على ذلك: "الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر" والفراء من الملتزمين برسم القرآن، ولكن بعض عباراته كان يوحي أحيانًا بخلاف ذلك، منها: قوله في أحد الحروف: وهو جائز في العربية، وإن كان مخالفًا للكتابة. فهذا لا يعني أنه كان مترخصًا في الرسم كما ذهب بعضهم، وإنما يعني أنه كان نحويًّا أيضًا في إقباله على كتابه (معاني القرآن)، والدليل على ذلك: أنه كثيرًا ما يبرح علاج الآية المقررة، أو القراءة المروية إلى بيان ما تحتمله من وجوه نحوية. فالفراء يحترم الرسم، ولكنه نحوي يسترشد في بناء أصوله بالموافق والمخالف من لغة القرآن الكريم.**

**والمادة القرآنية عند الفراء وحدة منسجمة يقوي بعضها بعضًا، وتقود متآزرة ومقرونة بالشعر، أو بلغات العرب إلى بناء القاعدة وتوضيحها، وهي تتألف من آيات القرآن الكريم، والقراءات المشهورة، والقراءات غير المشهورة.**

**أما القراءات المشهورة: فيرتضيها الفراء ما خلا بعضها التي أعمل فيها مقياسه فأباها، ولكن هذا لا يعكر موقفه العام الذي يتسم بالتسليم والإجلال. وأما القراءات غير المشهورة: فتتوزعها لديه ثلاثة أنواع: الحروف المخالفة، القراءات الأحادية وغير المشهورة، والوجوه النحوية التي أجازها في الآيات، وكان معظمها قراءات شاذة وفق المصطلحات المتأخرة.**

**فأولًا: مع الحروف المخالفة: كان الفراء -رحمه الله تعالى- واحدًا من الذين عنوا بالأحرف المخالفة عناية بالغة في المجال اللغوي حتى خيل إلى بعضهم أنه متمسك بقرآنيته؛ وذلك لما توحيه هذه الحروف من سلطان قوي في وجدانه العلمي، فهو لم يبال كثيرًا بالإشارة إلى تشذيذها أو مخالفتها، مع أن الناس في عهده على تشذيذ هذه القراءة، بل تبناها، وأكثر من إيرادها حتى لم تكد تخلو آية من الاقتران بها، سرة له، أو منصورة بها، وقد تعددت عباراته في الإشارة إليها، فمرة ينعتها بالحرف كما في حرف ابن مسعود كالقول: وفي حرف عبد الله وفي حرف أبي، ومرة يقرنها بأحد المصاحف كقوله: وفي مصحف عبد الله، ومرة يكني عنها بإحدى القراءتين مريدًا بذلك إحدى قراءتي ابن مسعود وأبي؛ لأنه لم يتحقق من ذلك لعلمه أن أكثر هذه الحروف إنما جاء عنهما، ولكن الغالب عليه هو وصفها بالقراءة.**

**لقد وقف الفراء من هذه الحروف موقف الإجلال والاحترام في منهجه النحوي، وانتصر لها، واستأنس بها على نحو فاق فيه كل النحاة قبله وبعده، فقد أكثر من إيرادها في أثناء حديثه عن الآية القرآنية مستأنسًا مكتفيًا بالقول: وهي في قراءة أبي، وهي في قراءة عبد الله من دون تعليل، وكان أحيانًا يوجهها توجيهًا نحويًّا بسيطًا على نحو قوله في قراءة أبي: "حتى تأتيهم البينةُ \* رسولًا" [البينة: 1، 2] بالنصب على الانقطاع من "البينة" يريد الحال منها.**

**وكان أبو زكريا -كغيره من النحاة- يبين وجوه هذه الحروف بألوان اللغة، كالقرآن، والقراءات المشهورة، أو الشعر، وأقوال العرب، وقد برع في ذلك؛ لكثرة محفوظه، وسرعة بديهته في التوصل إلى الوجه المماثل، من ذلك: استشهاده لقراءة عبد الله "قد بدا البغضاء من أفواههم" لقوله تعالى: {ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ} [هود: 67]؛ لأن "البغضاء، والصيحة" مصدران مؤنثان، والمصدر المؤنث يجوز تذكير فعله إذا تقدم، واستشهاده لحرف أبي: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ \* "التائبين العابدين" [التوبة: 111، 112] على أن "التائبين" نعت للمؤمنين لقراءة مشهورة وهي: {ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ \* ﯰ ﯱ} [الصافات: 125، 126] بنصب الله، واستشهاده لوجه النصب على المدح من حرف أبي نفسه بقول الشاعرة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لا يبعدن قومي الذين هم** | **\*** | **سم العداة وآفة الجزر** |
| **النازلين بكل معترك** | **\*** | **والطيبين مقاعد الأزرُ** |

**والفراء كثير الاستدلال بأقوال العرب الذين أكثر من مشافهتهم، ومن ذلك: تخريجه لقراءة عبد الله: "واللاتي يأتين بالفاحشة" قال: والعرب تقول: أتيت أمرًا عظيمًا، وبأمر عظيم.**

**وهو قد يلجأ إلى القياس لتخريج بعضها من ذلك: تخريجه لقراءة عبد الله: "كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ \* كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا ولا ذمة" [التوبة: 7، 8] بقياسها على قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يقول إذا اقلولى عليها وأقردت** | **\*** | **ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم** |

**فذكر "لا" في القراءة يسيغه معنى الجحد في كيف، مثلما تضمن حرف "هل" معنى النفي. ولا يكتفي الرجل بتخريج هذه الحروف أو نصرتها باللغة، بل ينعطف بها جميعًا إلى مرتبة الدليل على القراءات المشهورة المعروفة، وهي سنة سار عليها كل من ألف في الاحتجاج للقراءات المختارة بعد.**

**وقد أكثر من هذا الأسلوب، ونكتفي بمثال واحد على ذلك، وهو احتجاجه لوجه رفع قوله تعالى: {ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ} [البقرة: 119] بقراءة أبي: "وما تَسأل"، وبقراءة ابن مسعود: "ولن تُسأل"، والفراء كثير الاعتداد بهذه الحروف، يتحمس لها، ويجعلها في كثير من الأحيان وجه الكلام، أو الأكثر في كلام العرب، وقد يتعصب لها على نحو يؤدي به إلى نقض أصل نحوي كان قرره، من ذلك: أنه ذهب إلى منع إضمار الجر فقال: لأن إضمار الخفض غير جائز. وعندما وجد ابن مسعود يقرأ: "يسألونك عن الشهر الحرام عن قتال فيه" بإثبات "عن"، أجاز هذا الإضمار، وقدر "عن" محذوفة في قراءة الجمهور، فقال: فخفضه على نية "عن" مضمرة.**

**القراءات الأحادية وغير المشهورة: وهي كثيرة أيضًا عند الفراء، وتشتمل على القراءات المروية عن بعض القراء، وعلى القراءات التي يرويها الفراء عن قارئ واحد، وينص أحيانًا على تفرده بها، ولن يخرج الفراء في موقفه من هذه القراءات عن موقفه من الحروف، من حيث الاحتجاج لها بالقرآن، أو الشعر، أو اللغات، ولكنه يبدي قليلًا من عدم الحماسة، أو الرفض تجاه بعضها؛ وذلك لمخالفتها ما يشتهيه من وجوه.**

**وقد كان يذكرها أحيانًا كما الحروف استئناسًا بلا تعليق، ولعله كان يفعل ذلك لبيان قوة اختياره، وقد يوجهها توجيهًا نحويًّا بسيطًا كقوله في قراءة الحسن: {ﯖ ﯗ ﯘ} [البقرة: 104] بتنوين "راعنا"، "لا تقولوا راعنًا" بتنوين "راعنًا" على المفعولية لفعل القوم، أو يلجأ إلى القياس، فقد قاس قراءة أهل البدو: "الحمدِ لله" بكسر الدال على قولهم: "إبل". قال: هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فثقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد ضمة بعدها كسرة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل: إبلٍ، فكسروا الدال؛ ليكون على المثال من أسمائه، كما قاس قراءة بعض العرب: "يس والقرآنَ الحكيم" بنصب النون على ليت ولعل في تحريك آخرها؛ لوجود الساكن قبلها.**

**وقد نراه يحتج بالقراء للقراءة الشاذة بمثلها فتقوي كل منهما الأخرى، فقد ذهب إلى أن قراءة زيد بن ثابت: "فبذلك فلتفرحوا" هي الأصل؛ لدخول اللام على الأمر في المواجه كما في غيره، وقوّى ذلك بقراءة أبي: "فبذلك فافرحوا"، قال: وقوى قول زيد أنها في قراءة أبي، وهو البناء الذي خلق للأمر إذا واجهت به، أم لم تواجه.**

**والفراء عمومًا لا يفرق بين وجوه هذه القراءات وبين القراءات المشهورة، بل يأخذ بها جميعًا ويستحسنها، ويصفها بالجودة والحسن، وفشو اللغة ما دامت توافق مقياسه النحوي، وهي كالحروف أيضًا في قوتها لديه، فقد وجدناه يفضل بعض وجوهها على القراءات المشهورة، وهو في الغالب يقف منها موقف الاحترام.**

**على أن تحكيم الفراء لمقياسه النحوي دفعه إلى عدم الحماسة لبعض هذه القراءات، أو رفضها، وتفضيل غيرها عليها. فقد فضل قراءة الجمهور: {ﮘ ﮙ} [البقرة: 185] بالرفع على قراءة النصب: "شهر رمضان" النادرة، ووصفها بالجودة، كما وصف غيرها بعبارات مختلفة منها: الوجه الأول أحسن، وهي الوجه، والوجه الأول أعجب إلي، وأجودها الرفع، والوجه الرفع، والرفع وجه القراءة، ووصف القراءة النادرة بالقبح، ولا أشتهيها، ولست أستحب، ولست أرغب، ولا أشتهيها؛ لأنها شاذة، يريد هنا الشذوذ اللغوي، أو النحوي، غير أنه مع ذلك كان يحاول إيجاد المخارج لها.**

**وذلك كما جاء في قراءة بعضهم: "يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ" بضم الياء وكسر الهاء غير مستحبة، ولكنها مشفوعة بقراءة ابن كثير، وأبي عمرو: "وشجرة تخرج من طور سيناء تُنبت بالدهن" بضم التاء وكسر الباء، وبقول العرب: خذ بالخطام. ولكن المقياس النحوي قد يشتد فتقسو عبارات الفراء، فيرمي بعض هذه القراءات بالغلط، أو يقول في بعضها: وهو مما يرفض من القراءة. فالفراء يسعى جاهدًا لاستيعاب لغة القرآن وقراءاته راغبًا دائمًا في قبولها، إلا إذا ابتعدت كثيرًا عنه، فإنه لا يتورع عن رفضها ولو كانت سنة.**

**الوجوه النحوية الجائزة في الآيات: يبدو أن الفراء لم يكتتب معالجته لآيات القرآن وقراءاته في عرض أصوله النحوية؛ فعمد إلى استيفائها من طريق الوجوه التي تحتملها الآيات. وقد نص على جواز ذلك في كلام الناس دون القراءة، فمن أقواله: ولو نصب لجاز ذلك في غير القرآن، ولكن معظم هذه الوجوه كانت قراءات لم تبلغهم، وكل هذه القراءات شواذ وفق المقاييس اللاحقة.**

**لقد أكثر الفراء من عرض هذه الوجوه بقوله: ولو رفع، ولو نصب، والنصب جائز، والرفع جائز. وغلب عليه تجريدها من الاحتجاج، أو الاحتيال، وذلك تبعًا لطبيعة الوجه النحوي الجاهز في ذهنه، من ذلك: قوله: {ﭯ ﭰ ﭱ} [الفاتحة: 7]، والنصب جائز في "غير" تجعله قطعًا من عليه، يريد الحال، والنصب قراءة النبي  وعمر بن الخطاب.**

**على أن هذه الوجوه لم تكن من بنات أفكاره، بل كانت مستقاة من النصوص العربية، ولا سيما لغة القرآن؛ لأن الفراء كان يستعين على توضيحها أحيانًا بآيات القرآن، أو الشعر، أو لغات العرب، أو الحروف المخالفة، أو بهذه الأمور جميعًا، من ذلك: احتجاجه لجواز رفع "الطير" من قوله تعالى: "يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة" بقوله: {ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ} [البقرة: 7]. وفي هذا دلالة واضحة على انسجام المادة القرآنية وتكاملها في ذهن أبي زكريا الفراء، ودلالة أيضًا على انصرافه إلى القرآن أولًا في بناء أصوله النحوية.**

**لقد بدا يحيى بن زياد الفراء في تناوله لهذه الآثار واثقًا، واضح الأسلوب، منطقيًّا في عرض القضايا، وترتيب المسائل. كان يثبت القراءة، ثم يدير عليها الشرح، ثم يعقبها بالحجة اللغوية المناسبة، وقلما وجدناه يعاضل في المناقشة بحيث تتداخل لديه الحجج والأقيسة، وكانت الوجوه النحوية المبسوطة في القراءات واضحة، قليلة لا تتجاوز الوجهين في أغلب الأحيان، على نحو حمله نصب "صمًا" من قراءة ابن مسعود: "وتركهم في ظلمات لا يبصرون \* صما بكمًا عميا فهم لا يرجعون" على الحال من الهاء في "وتركهم"، وعلى الذم بحذف الفعل، وهذا طبيعي لدى نحوي مؤسس، يبغي توطيد أصول النحو في الكوفة دون الانتصار للقراءات الشاذة التي يفترض كثرة الوجوه، كما هو الأمر عند المستقلين بهذا الشأن، الوارثين آراء المتقدمين، واختلافاتهم.**

**لقد كان الفراء وفيًا عمومًا لهذه الآثار يحسن الظن بها، ويحتج لها، ويكشف عن وجوهها، ويتعصب لها أحيانًا، وقد أثبت بها حروفًا وقراءات نادرة، ووجوهًا محتملة بعض القواعد النحوية الجديدة.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**